التأثيرات المتبادلة بين الثقافتين العربية والإسبانية ـدراسة وصفية تحليلية

د . سعاد معاوي عمر الشيباني ــ كلية اللغات. جامعة الجفارة
البريد الإلكتروني: soaadmaawe@gmail.com

Mutual Influences Between Arab and Spanish Cultures
An Analytical Descriptive Study

Prepared by: Dr. Suad Maawi Omar Al-Shibani / University of Al-Jafara / Faculty of Languages
Email: soaadmawe@gmail.com

Abstract:
This study aims to examine the mutual cultural influences between Arab and Spanish cultures. It sheds light on the cultural interactions between Arab and Spanish civilizations, particularly during the Islamic presence in the٤ Iberian Peninsula, which lasted for approximately eight centuries. During that time, Spain was considered a beacon of civilization, thanks to the Arabic language, which became the dominant language of science and literature in Andalusia.
The reason behind choosing this topic is to uncover the cultural influences in the fields of literature and creativity, whether Arabs influenced others or were themselves influenced. This includes the importance of the Arabic cultural framework in enriching European culture, particularly during the era of the European Renaissance, through serious attempts to clarify concepts and reveal the full value of the Arab-Andalusian heritage.
The study is divided into three main sections preceded by an introduction that outlines the objectives of the research, the reason for its selection, its importance, and the methodology followed. It concludes with a summary that includes the most important findings, among which are:
The Arabic language is a vessel of Arab culture and Islamic civilization. It is not foreign to the Spanish language, which borrowed many words, phrases, and expressions from it. Arabic influenced Spanish in terms of vocabulary richness, stylistic diversity, elegance of expression, smoothness of pronunciation, literary beauty, and musical rhythm—especially during the early stages of contact.
Keywords: cultural influence, Arab culture, Spanish culture, Andalusia, Arab heritage.

المُلخَّـــــــــص:
يهدف بحثي المعنون بـ التأثيرات المتبادلة بين الثقافتين العربية والإسبانية إلى أهميته بوصفه أحد السمات التاريخية المكونة للثقافة واللغة الإسبانية، حيث استوطن المسلمون

من العرب والبربر شبه الجزيرة الإيبيرية مدة ناهزت ثمانية قرون ونيف تقريباً، فكانت هذه المدة خير شاهد على البصمات التي خلفتها الآثار العربية لفضل اللغة العربية التي كانت لها النصيب الأوفر في إغناء اللغة الإسبانية، والسبب في اختيار هذا الموضوع هو الكشف عن التأثيرات في نتاج الأدب العربي والمنابع التي نهلوا منها، أو استوحوها، أو تأثروا بها، كما ترجع أهمية بحثي هذا إلى محاولة ضرورية لبيان الأثر العربي لفضل العرب على الثقافة الأوربية في إطار محاولات جادة؛ لتصحيح المفاهيم والكشف عن القيمة الكامنة في التراث العربي الأندلسي.

ارتأيت تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة محاور، تسبقها مقدمة ذكرت فيها أهداف البحث، وأسباب اختياره، وأهميته، والمنهج المتبع فيه، ومذيل بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها، وكان من أهمها:

ـ اللغة العربية هي وعاء الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، أي: ليست غريبة عن الإسبان، فقد استمدت منها اللغة الإسبانية الكثير من الألفاظ ، والدقة في المعنى، وجمال التعبير، وتنوع الأساليب، وطراوة اللسان، وحلاوة الأدب، وسمو البيان، خاصة في نشأتها الأولى.

الكلمات المفتاحية: التأثير، الثقافة، العربية، الإسبانية، الأندلس، التراث العربي.

المـــقـدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على سيد الخلق أجمعين محمد ـ صلى الله عليه وسلم- ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه المستقيم:

فإن هذا الموضوع يكتسي التأثيرات المتبادلة بين الثقافتين العربية والإسبانية أهميته بوصفه أحد السمات التاريخية المكونة للثقافة واللغة الإسبانية، حيث استوطن المسلمون من العرب والبربر شبه الجزيرة الإيبيرية مدة ناهزت ثمانية قرون ونيف تقريباً، فكانت هذه المدة خير شاهد على البصمات التي خلفتها الآثار العربية لفضل اللغة العربية التي كان لها النصيب الأوفر في إغناء اللغة الإسبانية، خاصة خلال فترة عامي(711-1492م) شكلت هذه المرحلة نقطة ألتقاء حضاري وثقافي غني، إذ تحتوي اللغة الإسبانية على الكثير من الكلمات ذات الأصل العربي، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن التأثيرات في نتاج الأدب العربي والمنابع التي نهلوا منها، أو استوحوها، أو تأثروا بها، ولما كانت أهمية بحثي هذا ترجع ـ في رأيي ـ إلى محاولة ضرورية لبيان الأثر العربي لفضل العرب على الثقافة الأوربية في إطار محاولات جادة؛ لتصحيح المفاهيم والكشف عن القيمة الكامنة في التراث العربي الأندلسي، مستوْحين مِدادَها من أرجاء

الحمراء وجنات العريف، وهناك نشأت بذرةٌ عن فكرة هذا البحث، وأهمية الإرث الحضاري الثقافي الإسلامي في محاولة لإبراز طابعه ومدلولاته المادية والرمزية التي لا تزال قائمة في أوربا عامةً وفي إسبانيا خاصة، فيجب أن نلفت النظر إلى أهمية هذه التأثيرات بوصفها إحدى السمات لانتشار الكلمات العربية داخل اللغة الإسبانية دليل على عمق التأثير العربي والإسلامي الذي يظل حتى يومنا هذا شاهداً على حضارة أسسها العرب في شبه الجزيرة الإيبيرية، ولا سيما على التأثير اللغوي، ويرجع ذلك إلى بقاء العرب لفترات طويلة، فتعلم الإسبان العربية وكتبوا بها وألف بعضهم كتباً بها، بل واقتنوا مكتبات عربية وهذا الاهتمام واضحاً في تفضيل اللغة العربية على لغتهم، فالوجود العربي كان مهم بشكل كبير في طريقة تفكير الإسبان، فهم يعترفون بأن العرب أثروا في ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وكان لهم أثار باقية على مر العصور، فالمخطوطات تحكي قصة الحضارة العربية التي ازدهرت في إسبانيا.

إن الإسبان اهتموا بالثقافة العربية الإسلامية، فأنشاوا كراسي اللغات الشرقية في جامعاتهم ومكتباتهم تضم المخطوطات العربية ومطابع خاصة لطباعة الكتب العربية والمخطوطات المحققة، مثلاً: جامعة سلمنكا، وإشبيلية، وبرشلونة، وبلنسية، ومدريد، وغرناطة، ومكتبة دير الأسكوريال الذي قام بالاهتمام بها الملك فيليب الثاني، وشجع الإسبان على التضلع في اللغة العربية ونشر تراثها. وكان لدى قرطبة مكتبة مصدراً للإلهام ترجمة أعمال أرسطو وأفلاطون، فكان الأدب العربي في الأندلس مصدر الهام للآداب الأوربية، كما نقل العرب إلى إسبانيا معارف متقدمة من العلوم والفنون، ويقرّ أكثر الدّارسين بأن الأندلس بصفتها معبراً من معابر الثقافة العربيّة إلى أوربا، واستمر هذا التأثير قروناً طويلة، أسهم العرب في تأسيس الجامعات والمراكز العلمية، ففي أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر أصلح شأن الجامعات، فعادت العربية تُدرس رسمياً، وأفاد طلابُها من مخطوطاتها الغنية في المكتبات العامة والخاصة، ونشروا العرب الكثير من الكتب لكل ما له علاقة بتاريخ الأندلس، وجغرافيتها، وتراجم رجالها، وعلومهم، وفنونهم، وفتحت أقسام اللغات السامية، فدرست اللغة العربية في جامعات مدريد، وبرشلونة، وغرناطة، في الشرق، وفي جامعات أوتونما، ومرسية، ومالقا، كما أسهمت حركة الترجمة القوية المرتبطة بأهميّة اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم، لغة شرفها الله من بين ألسنة الناس أجمعين، وأصبحت اللُّغة العربيّة في الأندلس مرادفة للذوق الرفيع، حتى غدت أسفاراً كتبت بأقلام غمست في محبرة الغيب، يؤمها أدباء إسبان، ويتوافد عليها من أوربا طلاب العلم، والتأثير واضح في جوانب مختلفة

في ثقافتنا ابتداءً بالمصطلحات والمفردات العربية التي تزخر بها اللغة الإسبانية، والتي تبلغ قرابة أربعة آلاف مصطلح إلى الشواهد والآثار العمرانية والملامح الكثيرة من فن المأكولات والمشروبات، إضافةً إلى تكوين ثقافة علمية استفادت منها أوربا ونهلت من معالمها بدرجة كبيرة.

ومن هذا المنطلق تم اختيار هذه الدراسة، فاللغة العربية سامية واللغة الإسبانية لاتينية، لكن التواجد الإسلامي والتعايش بين اللغتين دعم هذا التأثير في فترات متعددة من حكم الأندلس، فقد عاش المسلم والمسيحي واليهودي جنباً إلى جنب ما نتج تبادلاً فكرياً ثقافياً [1].

أما المنهج الذي اتبعته في هذا البحث، فهو المنهج الوصفي، الذي يقوم على استقراء واستقصاء مادة البحث، وتتبع مراحل التأثير في الثقافتين العربية ولإسبانية، ورصد التطورات التي مر بها، تحقيقاً لأهداف البحث.

تُعدُّ اللغة العربية من أكثر لغات العالم قدرةً في التعبير عن مكنونات النفس وخلجات الروح، فهي مرتبطة تمام الارتباط بالإسبانية؛ لأنها جزء من تاريخ إسبانيا عبر العصور وهُويتها الحالية، إذ أثَّر الانفتاح على الحضارة الأوربيّة في إقبال العلماء من أوربا على الثقافة العربيّة بكل ضروبها وانكبابهم عليها بنهم وشغف، ولم يكن نقل هذه الحضارة ليتم بين عشية وضحاها، فظلّت ترجمة كتبهم مصدر التدريس الوحيد في جامعات أوربا خمسة أو ستة قرون، وتأثيرات العربيّة في الأدب الأندلسيّ هي الجزء الأكبر الذي تجده في القرون الوسطى عن طريق الأدب العلميّ، والتعليميّ والأساطير، والحكايات، والمواعظ التربوية، سواء عن طريق الترجمة مباشرة أم عن طريق تقليد المنتشر بشكل واسع في ذلك الحين[2]، فاللغات الإنسانية تؤثر وتتأثر، وتتبادل ألفاظاً بألفاظ وأساليب بغيرها بطرائق شتى، منها التعايش والاختلاط، فهي مليئة بالمحسنات والأساليب البلاغية المتنوعة، وزاخرة بالكثير من الألفاظ والمعاني التي لا توجد لها مثيل في اللغات الأخرى، وأن التأثير الأندلسي لم يكن عابراً، بل تجد فيها نهضة أدبية كبيرة غيرت من واقع حاله كما غيرت مضامينه وصوره بعد أن كان إغريقي الموضوع لاتيني اللغة، ولم يكن من السهل تبدل الحال إلا بهبوب نسمات منعكسة من أدب متجدد الألوان، إذ نشأ الأدب الأندلسيّ في وقت كانت فيه الثقافة العربيّة في قمّة ازدهارها، ومن ثم لم يكن غريباً أن تتأثر الأنواع الأدبيّة الأندلسيّة بالأنواع الأدبيّة العربيّة، وأبرز مثال لذلك تأثرهم باللّغة العربيّة التي تمتاز بثرائها، ومرونتها، واتساع تراكيبها، وطلاقة صيغها، وجمال كلماتها، وعمق معانيها، فأخذوها من تلقاء أنفسهم؛ لأنهم رأوا فائدة كبيرة لإغناء

لغتهم بها، وأصبحت اللّغة الإسبانيّة وريثة اللّغة العربيّة، فهي أهم دليل على وجود الحضارة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس، واللغة العربيّة خير أداة للتعبير عن تلك الحضارة، وذلك ما منح الحكم العربي للأندلس قيمة يُفتخر بها، ومن الثابت أن الأثر العربيّ في بعض مناطق الأندلس استمر حتى مطلع القرن السابع عشر؛ وذلك لأن قرابة نصف مليون عربيّ اختاروا البقاء في إسبانيا بعد أن استرجعها الملوك الإسبان؛ لشدة تعلقهم بها وبأرضها جيلاً بعد جيل، فإنّ إسبانيا كانت ولا تزال مهتمة باللّغة العربيّة بحكم تاريخها وعلاقتها بالعالم العربيّ وموقعها الجغرافي، وترتب على تطوّر هذا الاهتمام، كثرة عدد الجامعات التي تعنى بالدّراسات العربيّة الإسلاميّة، كما تأثر الأدباء الإسبان بالعرب والأدب العربي بطبيعة سكن العرب المسلمين بإسبانيا الإسلامية وزواجهم من الإسبانيات مما عكس ذلك على الأدب الإسباني، ولا شك أن هذا التزاوج بين الثقافات والشعوب هو مما يُثري الثقافة، ويعزز قيمة الإنسان[3].

ولعل من أهم التأثيرات العربيّة في مجال الآداب الموشّحات والأزجال الأندلسيّة التي ظهرت في الشعر الغنائيّ والموسيقى(التروبادور)، وكذلك تأثرت المدارس الصوفيّة في إسبانيا تأثراً كبيراً بالمدارس الصوفية العربيّة والإسلاميّة داخل الأندلس وخارجها، كما أثرت المقامات العربيّة في ظهور قصص الصعاليك الإسبانيّة، وهي نوع من الأدب القصص الذي يركز على الحكايات والحكم، كما يرى بعض الباحثين أن المقامة العربية أثرت في الرواية البيكاريسية الإسبانية، وما تمثل في ظهور ما يسمى بالأسلوب المُدَجّن الذي استفاد كثيراً من فنون الكتابة العربيّة، وذلك بالنسبة إلى العدد الكبير من الكُتّاب بدءاً من العصر الوسيط حتى الآن، ولا يخلو أي أدب إسباني من التأثير بالأدب العربي؛ لأن الإسبانية بدأت لهجة ولم تكن لغة وترعرعت في أحضان اللغة والثقافة العربية[4].

فمن أعلام الفن المدجن **خوان رويث** المعروف **بكاهن هايتا**، الذي مثل هذا الفن خير تمثيل في كتابه الشهير **الحب المحمود**، فمن الممكن أنه تأثر بـ قصص كليلة ودمنة، والسندباد، وفن المقامات العربيّة، وتجلى الأثر العربي في مواضع عدة في كتبه وكلامه عن الآلات الموسيقيّة التي لا توافق الأغاني العربيّة، وكذلك في اعترافه بوضع ألحان رقص للمويسكيات، واستعماله للألفاظ العربيّة في مواضعها كما أشار **راينهات دوزي**(1820-1883م) وفي عصر النهضة تجد **ميغيل دي ثربانتس** (1547- 1616م) الذي يُعدُّ من أبرز من مثلوا هذا الاتجاه، ويمثل هذا الاتجاه -أيضاً- الروائي **خوان غويتيسولو**(1931- 2017م) الذي كتب عدداً من الروايات بهذا الأسلوب المدجن، والتأثير العربي يظهر بوضوح في الأدب الأندلسيّ ممثلاً في الشعر القصصي، وتأثيره

في الملاحم الإسبانيّة، فهناك دراسة **لخوليان ريبيرا**(1858-1934م) صاحب النظرية التي ترد نشأة الملاحم القشتاليّة إلى أصول عربيّة، تشير إلى أنه استطاع عن طريق مقارنته بين الشعر القصصي الإسباني الذي ظهر في القرنيين الثاني والثالث عشر الميلاديين، والشعر القصصي العربي الذي ظهر في القرنيين العاشر والحادي عشر الميلاديين التوصل إلى أن الشعر الأندلسي يتفق هو والأساطير العربيّة في جوانب متعددة، فبالنسبة إلى الشخوص في القصص الإسباني وُجد أنها نشأت في النواحي والأعصر التي حفلت بالصراع والحروب وأن الوقائع البارزة كانت تحمل طابع الفروسية والمبارزات بين الأبطال، كما في القصص العربي[5]، وتأثير الأدب العربيّ في اللاتينيّة، والقشتالية، والعبرية وغيرها شمل أنواعاً أدبيّة من الشعر الغنائيّ، والملحميّ، والحكائيّ[6]، ولا بد أن نذكر تأثير الأدب الشعبي أو المروي، إذ وضح **إميليو غارثيا غوميث**(1905- 1995م) تأثير الأمثال العربيّة في مجموعة الأمثال الإسبانية، وهناك طرائف عربيّة في رواية دون كيشوت وموضوعات شرقيّة في الشعر الرومانسي[7].

وكان أوّل عامل في بناء الحضارة الزاخرة في الأندلس هو شغف أهل الأندلس باللّغة العربيّة بعد أن حمل العرب لغتهم إلى الأندلس، بدأ الأندلسيون ينقلون العلوم وينشرون المعارف، ووفدت العلماء من المشرق واشتدّت العناية بالعلم والتعليم، وأنشئت في كل مدينة أندلسيّة مدرسة، وكان في قرطبة وحدها ثمانون مدرسة تنشر الثقافة العربيّة، وبهذا نشأ المجتمع الأندلسي محباً للعلم والرغبة في التحصيل والأخذ بأسبابه والغوص في أعماق اللّغة العربيّة وآدابها، وكان التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية في أراغون الثغر الأعلى، وبلنسية شرق الجزيرة طليطلة المركز، وغرناطة، وتأثر المستعربون بالثقافة العربيّة إبان الحكم العربي، وحافظ هؤلاء على معتقداتهم الدينيّة، وتعلموا العربيّة إلى جانب لغتهم الأصليّة المشتقة من اللّغة اللاتينية، وقدم العرب إلى اللّغة اللاتينية المعاني، والمفردات، والمصطلحات العلميّة، والفنيّة، والأدبيّة[8].

السؤال الذي يطرح نفسه : إلى أي مدى أثر العرب الأندلسيّون في الثقافة الإسبانيّة ؟

لعل المتتبع لتراثنا العربي الإسلامي الموسوعي يجد أعمالاً كثيرة قُدّر لها البقاء لعبقريّة أصحابها وفطنتهم؛ ولأنها فرضت ذاتها بشتى الطرق أُعِجبَ بها الغرب فسحرتهم وأخذت بألبابهم، وهذا حال تراثنا العربيّ عند الغرب؛ إذ يجدون فيه سحراً خاصاً يجذبهم إلى قراءته للاستفادة منه والاستمتاع به.

المحور الأول ـ أثر اللغة العربية في اللغة الإسبانية:

كانت اللغة العربية- ومازالت ـ_موضوع عناية العلماء والأدباء والدارسين على مرِّ الأزمان، كيف لا ! وهي لغة القرآن الكريم، وفيها أودع الشعراء أكرم المعاني، وأجمل الأساليب في شتى أغراض الشعر وقوافيها، فختلط العرب بالأمم الأخرى حاملين الحضارة العريقة، وأقاموا الدولة الإسلاميّة التي امتدت حدودها إلى الصين شرقاً وإلى الأندلس غرباً، ورافق ذلك تشييد صرح حضارة إسلاميّة زاهرة كان لها دور كبير في شبه الجزيرة الإيبيرية وحَمَل العرب إلى الأندلسيين لغتهم، وأخذت تنتشر حتى تغلبت على لغة البلاد الأصليّة وأصبحت اللّغة الرسميّة، كما أن أعلام الثقافة الأندلسية الذين جاءوا واستقروا في البلاد العربية وأثّروا وتأثّروا وكونوا حضارة وثقافة عرفها العالم العربي والإسلامي [9]. فكان إسهام المستعربين والموريسكيين والموالي والأندلسيين عامة، نتيجة التعايش كل هذه الشعوب وشيوع اللّغات بينهم مثل: اللاتينيّة، والرومانثية، والعربيّة ما بين عامي (1609م- 1614م)، تاريخ طرد الموريسكيين من إسبانيا، وللّغة العربيّة تأثير في لغات تلك البلاد كبير، وفي مقدمتها اللّغة القشتالية التي تطورت إلى الإسبانيّة المعاصرة [10].

يرى **بيدرو مارتنيث مونتابيث** (1933- 2023م) أن اللّغة العربيَّة جوهرها في غناها الحسي، والمعنوي والبنويّ، وإنّها أغنى من اللّغة الإسبانيّة، وأكد إيجاد إثباتات في اللغة لمدى قوة الجذور العربيَّة في اللّغة الإسبانيّة مقدماً عدة أسماء مشتقة من أصل عربيّ، وحضورها في اللّغة الإسبانيّة يفوق ألفين كلمة [11]، كما أشار إلى تأثير اللغة العربيَّة في سياق بناء الجملة الإسبانيّة نفسها، منها مثلاً: الأفعال الانعكاسيّة التي تشابه المبني للمجهول الذي يستعمله العرب كثيراً في طريقة كلامهم؛ بل صياغة الفكرة نفسها، وأكدت هذا الأثر تجربته التي تفوق الخمسين عاماً مع اللّغة العربيَّة وثقافتها، وترجمته لأهم الشعراء المعاصرين وقراءته للأدب العربي الحديث [12].

تحوي اللّغة الإسبانيّة اليوم على الكثير من الكلمات ذات الأصل العربيّ ويلاحظ تأثير اللّغة العربيّة في كل من جنوب إسبانيا وشرقها، أو ما يُعرف اليوم بإقليم الأندلس، وهذه المناطق نفسها التي شهدت تأسيس إمارة قرطبة تبعتها الدولة الأمويّة في الأندلس، وملوك الطوائف [13]، وكان أقدم المحاولات لرصد آثار اللّغة العربيّة في اللّغة الإسبانيّة ما قام به **فرانثيسكو مارتينث مارينا**، لقد أحصى الألفاظ القشتاليّة ذات الأصل العربي المختصر، وذلك في عام (1805م)، وجاء بعده المعجم اللّغوي الذي أعده **دوزي** و**انجلمان** (1836ـــ 1868م)،[14] المسمى: معجم الألفاظ الإسبانيّة والبرتغاليّة المشتقة من العربيّة، صدرت الطبعة الأولى منه في عام (1861م)،

وخلص فيه إلى أن الكلمات العربيّة في اللّغة الإسبانية تعادل ربع كلمات اللّغة الإسبانيّة [15].

كما ألف **إيكيلات** [16] معجماً اشتقاقياً للكلمات الإسبانيّة ذات الأصول الشرقيّة في غرناطة عام(1886م)، كما حاول **خوان غويتيسولو** في كتاباته أن يعود إلى هذه المفردات الشائعة في اللّغة الإسبانيّة؛ ليوطد الصلة بكل ما هو عربيّ في المكوّن الثقافيّ الإسباني، وتتابعت بعد ذلك المؤلفات في هذا الحقل المعرفي، وهو ما خصه الدكتور **حكمت الأوسي** ببحثه عن التّأثير العربيّ في الثقافة الإسبانيّة، مُشيراً إلى بحوث تناولت الألفاظ العربيّة الإسبانية، وبعض اللّغات الأوربيّة الأخرى[17].

وأثبت الباحثون اللّغويون الإسبان أن تأثير اللّغة العربيّة في الإسبانية عميق جداً، إذ يعود إلى انتشار اللّغة العربيّة الواسع في الأندلس، وبعض المقاطعات الإسبانيّة على مدى سبعمائة وواحد وثمانين عاماً من الزمن إبان العصر الإسلاميّ الذي بدأ بفتح الأندلس، ويشهد التاريخ أن المسلمين أسسوا حضارة في إسبانيا تجلّت في انتشار العلوم والفن والعمران، كما هو الحال في الزراعة، والصناعة، والهندسة المعماريّة إبان تلك القرون المتتالية، وهو ما جعل الأندلس آن ذاك مُزدهرة ومركز إشعاع في أوربا كلها، ومحج لطالبي العلم، وكانت المُحصّلة استحداث كثير من أسماء الأماكن، والأعلام، والأفعال، إلاّ إن الأخيرة تُعدُّ قليلة جداً في الوقت الحالي، إذ تُقدر تقريباً بسبعة أفعال أو أقل، وبعض الصفات والظروف، وحروف الجر الذي يعكس التأثير الكبير، وفي الوقت نفسه لم يُغير كثيراً بنية اللغة الإسبانيّة الرومانسية، ومن التأثيرات العربيّة الواضحة استخدام صوتي **الخاء والثاء** في الكتابة والنطق، فالإسبانية هي اللّغة اللاتينية الوحيدة بين اللغات اللاتينية التي فيها هذان الحرفان، وهما يردان بكلماتها بكثرة في بعض مناطق جنوب إسبانيا التي مازالت تعرف بـ **أندلسيا**، كما أن هناك أصوات عربية في اللهجات الإسبانية عامة وفي الجنوبية خاصة، وهي **الهاء والشين والجيم**، هذه اللهجات معروفة سماعياً عند جميع الإسبان، وكذلك هناك قرابة بين العربية والإسبانية في جمع الحركات وورودها في تشكيل المفردات، فالحركات العربية الثلاث(الفتحة، والكسرة، والضمة) موجودة في الإسبانية [18]، فكلمة (الخاميا، بمعنى العجمية) مثلما هو معناه في العربية، أي لغة العجم؛ وسبب وجود هذا المفرد في اللغة الإسبانية الدّلالة نفسها التي له في العربية، هو أن المسلمين في الأندلس يطلقون هذا الاسم على اللغات المنطوق بها عند سكان الممالك المسيحية الشمالية في إيبيريا، والتي كانت تنافس الأندلس في الحكم على شبه الجزيرة إيبيريا، وتبني اللغة

الإســـبانية هذا اللفظ العربي دليل على أهمية اللغة العربية في الديار الإســـبانية منذ التاريخ الأول للإســـبانية، وعلى دورها في تكوين اللغة الإســـبانية في أصـــواتها وألفاظها[19].

ويقول **رافائيل لابيسا**(1908- 2001م) في كتابه تاريخ اللُّغة الإسبانيّة: ((إن التأثير العربيّ في اللّغة الإسبانيّة يأتي مباشرة بعد العامل اللاتيني، ونحن نرى فيها اليوم عدداً كبيراً من المفردات التي تبدأ **بأل التعريف** وهذا ما يرشـــدنا في كثير من الأحيان إلى أصلها العربي)) [20]، و**يضيف قائـــلاً:** توجد في اللّغة الإسبانيّة أكثر من أربعة آلاف كلمة عربيّة بعضها ظل على حاله، وأكثرها أصابها التحريف كتابةً ولفظاً، وهذا يعني أن ربع اللّغة الإسبانيّة الواسعة الانتشار في العالم من أصل عربي، وكان لانتقال اللغة العربيّة إلى اللّغة الإســـبانيّة عدة طرق، منها: الإدارة، والجيش، والزراعة، والتجارة، والصناعة، والعلوم، والثقافة، والأدب، فمن الألفاظ التي استخدمت في اللّغة الإسبانيّة في التنظيمات العسكرية الصيفية على الممالك الإسبانيّة، كانوا يسمون تلك الحملات بـ الصـــائفة ، والفارس على رتبة الملازم(Alferez)، والطليعة على مقدمة الجيش(Atalaya)، والســـاقة وهي مؤخرة الجيش(Zaga)، ومازالت المفردات المتصـــلة بالتحصين تحتفظ إلى الآن بالمعنى نفسه الذي كانت عليه في العصر الإسلاميّ[21]، وإن بعض منها بقي على حاله الأصلي كتابةً ولفظاً، مع أنه حافظ على معناه الأصيل لما أصاب تلك المفردات العربيّة الأصل، سواء منها المبتدئة بأل التعريف أم غيرها من تحريف لدى دخولها في اللّغة الإسبانيّة، والسبب هو التحريف النطقي الواضح لما يوجد من فرق كبير بين الحروف العربيّة والحروف اللاتينيّة، وبين نبرة العربيّة واللاتينيّة، وأسلوب لفظها، وبين ذوق الأذن الإسبانيّة، وذوق الأذن العربيّة، فكل قوم في لغاتهم ما ألفوا وما توارثوا [22].

ولذلك اختلفت وســـائل التعبير، واللهجات، واللّغات، وكان للإســـبان من ســـبك المفردات العربيّة وأســـماء الأعلام، والمواقع الجغرافيّة، والمدن التي اطلق عليها العرب أسـماء عربيّة في قالب سـماعي يتناسـب مع ذوقهم من جهة وإمكانات لغتهم الأصليّة وأحرف هجائهم من جهة ثانية [23].

وفي مجال الزراعة، جُلبت إلى الأندلس الكثير من البذور والثمار المتنوعة، وتقدمت وسـائل الري وانتقلت إلى كل مناطق شـبه الجزيرة الإيبيرية، نذكر بعضـها على سـبيل التمثيل: السـاقية أصـبحت آثيكيا، والمعصـرة الماشـار، والضـيعة آلديا، والناعورة، وذلك لعدم وجود كل من حرف القاف، والعين، والغين والحاء، والضـــاد

بالأبجدية اللاتينية، هذا ومازالت العربيّة باقية حتى اليوم في لغة الريف في مفردات كثيرة من المصطلحات الزراعية فيما يتعلق بالري، والسقاية في الأقاليم الشرقيّة بإسبانيا بفضل تلك الطرائق في الري، كما كان في العهد الإسلاميّ في إسبانيا، وهذا لا يعني أن اصطلاحات الري ليست عربيّة، فهي عربيّة صرفة ماعدا بعض الألفاظ الشاذة، وذلك ابتداءً من كلمة الناعورة بالعربيّة، كما تجد الأسماء العربيّة والمفردات المسكن آخره تتفق هي والذوق الإسباني فتحرك آخرها لدى اقتباسها بأحرف صوتية (24).

وإن التأثيرات العربيّة في إسبانيا ليست مقصورة على آثار أو أطلال، وإنّما ظاهرة شائعة في أخلاق القوم وطباعهم وعاداتهم، فتأثير العرب في كثير من الجوانب الاجتماعيّة الإسبانيّة المعاصرة، وعندما يذكرون اسم المتوفى يقولون **رحمه الله**، وعندما يلتقي صديقان يعانق أحدهما الآخر ويضمه إلى صدره وهذه عادة عربيّة لا تزال شائعة إلى اليوم في البلاد العربيّة، كما جاء في قصة السيّد، التحيّة تكون بتقبيل الكتف، وهي عادة أندلسيّة ولا تزال التحيّة بين الأعراب بتقبيل الكتف، كذلك عندما يعزم أحد الإسبان على أمر يريد فعله، ويخبر بعزمه هذا أحد معارفه يقول: سأفعل كذا ـ **إنّ شاء الله** ـ وهذه عادة عقيدة إسلاميّة، وكلمة **أهلا** للترحيب بقدوم شخص، وفي قولهم: **حفظ الله** عند الخروج من البيت، **وفي أمان الله، بارك الله بالأم التي وضعتك**، كما أخذ الإسبان عن العرب أساليب في بعض الكنايات ونقلوها إلى الإسبانية، ومن ذلك الكنايات العرب تسمية اللص **ابن الليل**، والفنان **ابن الدنيا** والمتديّن **ابن الإحسان**، واليتيم **ابن الحجر** وغيرها الكثير أَلِفه الأندلسيون (25).

أما في مجال الأعلام الجغرافية والتاريخيّة، فتأثيرات اللّغة العربيّة في الإسبانية كبيرة، تكاد تكون أغلب الأعلام الجغرافيّة الإسبانية هي عربيّة الأصل؛ لأن الفاتحين اطلقوا على جميع المواقع الإسبانية التي كانت تحت سيطرتهم تسميات عربيّة فألفها الإسبان، بتسميتها العربيّة نفسها، ومن أمثلة على الأعلام التاريخيّة بنو سراج، والمرابطون، والموحدون، والقوط ودول ملوك الطوائف، كما تجد بعض الأسماء دخلها التحريف كأسماء المدن والقلاع التي شيدها العرب في الأندلس، كما أصاب التحريف بعض أسماء الأنهار والمواقع الجغرافيّة التي اطلق عليها أسلافنا أسماء عربيّة، فمثلاً مدينة **مجريط** (madtid) تحولت إلى مدريد، وهي عاصمة إسبانيا اليوم، وهذا التحريف لحق أغلب المفردات العربيّة الأصل لدى اندماجها في اللّغة الإسبانية، والأسماء الإسبانيّة التي نقلت إلى العربيّة كأسماء الأعلام والمدن

والمقاطعات والمواقع الجغرافيّة في شـــبه الجزيرة الإيبيرية، فقد درج على تســـمية بعضـها بما يتفق هو وذوقهم السـمعي واللُّغويّ، فاطلقوا اسـم (Toledo) طليطلة على المدينـة توليدوا ؛ لاســـتحالـة نطقهم لحرف القاف العربيّة، وغرنـاطـة(granada) ولفظها لاستحالة لفظهم حرف الغين العربيّة، وتحولت إشبيلية (.sevilla) إلى سيقيّا، وهي اشتقاقاً من اسمها اللاتيني، وقرطبة (cordoba) إلى كوردوبا؛ لاستحالة لفظهم الطاء [26].

والأمثلة في هذا المقام كثيرة ومتنوّعة، وقد جرى العرب على اقتباس جزء من أسماء المدن القديمة حين تسمية مجريط ، وهي كلمة من جزءين، فشيدوها وأعطوها أسماً مركّباً من كلمة مجرى؛ لوفرة مجاري المياه فيها، ومن المقطع اللاتيني إيت (IT) فأصبحت مجريط ؛ لاستحالة لفظ حرف الطاء عند الغربيين، فقُلبت إلى إيت (it)، ثم تحوّلت الكلمة بمرور الزمن إلى مدريد بدلاً من مجريط ، وجبل طارق الذي يُنطق خبرلطارُ، وكلمة جبلي يُنطق خبلي، وهو الخنزير البري الذي يعيش في الجبل، وكلمة الجامع تحوّلت عندهم إلى ألخاما، والجرّة تحولت خارا، وهي إناء الفخار، ونهر الوادي، الذي تحوّل إلى غوادِ يلاخارا [27].

والعربيّة لها صدارة تعابير البناء الفنيّة، فلا يقل أثر اللّغة العربيّة وضوحاً في مؤسسات الدولة، فالضرائب تسمى في العربيّة الغرامة، كما يُطلق على شيخ الجماعة القاضي، وهي من الكلمة العربيّة حتى الوقت الحاضر، واستعمل نصارى إسبانيا الكلمات التي تدل على مناصب المدنية كلمتي: صاحب المدينة، وصاحب الشرطة، وظَلَّ رئيس التجار يدعى بالمحتسب زمناً في شبه الجزيرة الإيبيرية [28].

فاللّغة العربيّة لها نصيب كبير في أسماء الأماكن في إسبانيا، كالمدن والقرى ولا سيما في جنوب شبه الجزيرة التي اكتسحتها التسميات الإيبيرية القديمة، والشيء نفسه بالنسبة أسماء الأنهار مثل: الوادي الكبير، أو وادي الحجارة الذي يمر في كل من قرطبة وإشبيلية، واسمه بالإسبانية أضحى (guadalajara) مأخوذ من اسمه العربي، وأسماء الحصون، مثل: المُدَوّر، أو حصن الحجر، وفي أسماء المدن مثل: مدينة سالم، الذي بناها المسلمون بالقرب من مدريد، وبلد الوليد في مقاطعة كاستيا، سمي بذلك نسبة إلى الخليفة الوليد بن عبدالملك (668- 715هـ)، وهي مقاطعة كبيرة من مقاطعات إسبانيا وفي هذه المقاطعة بنو إبراهيم، وبنو سليم، وبنو خيرون، وقلعة أيوب، والمرية التي أمر ببنائها الخليفة عبدالرحمن الناصر لدين الله (344هـ)، وجاء اسمها من وظيفتها، إذ كانت تتخذ مرأى ومرصدا لمدينة بجانة، وهناك قول آخر في سبب تسميتها وهو أن

المدينة سميت بالمرآية من كلمة المرآة؛ لأن المدينة ومعالمها تنعكس على المياه من حولها وكأنها مرآة، واسم القرية بالعربيّة كان العرب يدعونه الضيعة، فاقتبسه الإسبان منذ ذلك التاريخ القديم إذ يسمون القرية في الأندلس [29].

كما تجد في مجال الصناعة أثر المفردات العربية في اللّغة الإسبانيّة، فدخلت إلى الإسبانية كلمات عربيّة، أمثال: الطراز، وهو قماش بألوان مشكلة، وأسماء الأقمشة في الأندلس الإسلاميّة تكون كلها على حد سواء أسماء عربيّة، أو لها علاقة بالمدن الصناعية في الشرق، ودخلت غالبية هذه الأسماء إلى الإسبانية في العصور الوسطى، وكذا الخياطة مازال اسم الخياط مستخدماً عائلياً في إسبانيا كُنية أو نسبة، وتشتهر بها مدن طليطلة، وسلمنكا، وجزر الكناري، وباليارس، وويليا، إذ ازدهرت صناعتها، فأسماء الأقمشة الحريرية القيمة والأحذية كلها عربيّة ولاسيما ملابس النساء، فكانت تزدان بأنواع غنيّة من الملابس العراقية مثل: الجُبَة أي الدرّة، وهي الجُبَة المزررة ، واللحاف، والفراء المُبطَن، والنسيج الحريري الموشى الطراز، كما أن المجوهرات كانت تحمل طابع التأثير العربي، وإن جمعها وتصنيفها يوضح مكانة هذه الظاهرة اللّغوية البالغة الأهمية ومدى الاشعاع الحضاري الحقيقيّ الذي نشرته إسبانيا العربيّة، فشجع ملوك أرغوان وقشتالة هذا الاشعاع على أن تبنوا هم أنفسهم وفي احتفالات بلاطاتهم شتى المبتكرات المستقاة من الحضارة المجاورة [30].

وكتب الدكتور لطفي عبد البديع مقالاً أحصى فيه الألفاظ العربية في الإسبانية [31]، ورأى أن أوّل مظاهر تأثير العرب في الحياة اليومية الإسبانية يتجلى بوضوح في اللغة الإسبانيّة، وجرت محاولات رسمية ومدروسة في أواخر القرون الوسطى وأوائل العصور الحديثة لدراسة المفردات الإسبانيّة واستخراج الكلمات العربيّة التي كانت شائعة فيها بما يمكن أن يؤدي مفهومها من المفردات اللاتينية، ومع هذا كله لا يزال اليوم أكثر من سبعة عشر بالمائة من مفرداتها عربية الأصل، وهذا يشكل أكثر من أربعة آلاف كلمة كما آنفا ذكره [32].

ويرى الأديب عباس العقاد أن هذه المفردات دخلت في الحياة الاجتماعيّة والمقاصد النفسيّة؛ لأنها لم تتمثل على الألسنة إلاّ بعد أن تمثلت في أحوال ونوازع الإحساس والتفكير، إذ يقول: ((ولم يقتصر تأثير العربيّة في الإسبانيّة في الكتابة والنطق؛ بل تعدى ذلك إلى الشعر والموسيقا والرقص، فإنّ الأمة الوافدة أخذت من الأمة المقيمة مجالسها، ومعارفها، وعادات إنشادها، ورقصها في الجماعة المشتركة بين الجنسين، ولكنها أعطتها الأوزان والأعاريض)) [33]، ويؤكد هذه الفكرة الدكتور حكمت الأوسي في رأيه

أن التأثيرات العربيّة لا تقتصر على بقايا آثارنا، أو أطلالها هنالك، وإنّما هي ظاهرة شائعة في أخلاق القوم وطباعهم وعاداتهم، بل دمائهم [34].

ويؤكد محمود مكي : ((إن الأدب الإسباني هو أوفق الآداب الأجنبية صلة بالأدب العربي؛ نظراً للعصور الطويلة التي كانت فيها الأندلس جزءاً من العالم العربي... والأدب الإسباني هو الأدب الذي تبدو فيه تأثيرات الفكر والحضارة العربيين بحكم معايشته للفكر الإسلامي في الأندلس، وتأثره العميق له)) [35].

المحور الثاني- أثر القصة العربية في القصة الإسبانية:

تطورت القصة بتطور العقل البشري، وتحولت من ميدان الخرافة والخيال إلى الواقع الإنساني، وعرف القصص العربيّ منذ نزول القرآن الكريم، فقد ورد فيه قصص رائعة تمثل الأسلوب القصصيّ بكل جماله معنى ومبنى، كما ظهرت القصة الشعريّة في بعض قصائد الشعراء كقصائد عمر بن أبي ربيعة، والفرزدق، وتطورت إلى سرد الحكايات المتنوعة، وتشمل القصص التاريخية، والغرامية، والشعرية، والخيالية، والأسطورية، والكوميدية، والنوادر العاطفيّة، والحماسيّة، فكان منها الموضوع والمنقول عن الفارسيّة والهنديّة.

ومع بداية القرن التاسع عشر أخذ الأدباء والدّارسون الأوربيون من العربيّة الآداب، والفنون، والعلوم، إن لم نقل استعاروا منها بعض الأنواع الأدبيّة وطوروها لما يخدم أدبهم الأوربيّ، فأنتجوا وأبدعوا مؤلفات جديدة تكشف لهم عن عوالم مختلفة عنهم غريبة على ثقافتهم، وطريقة لم يألفوها في أدبهم اللاتيني، كما تؤكد الدّراسات أن المصدر المشرقيّ انتقل في تأثيرات القصة العربيّة إلى أوربا، فإنّ دور الأندلس لم يكن أقل من المشرق العربيّ، وإن أي دراسة لتاريخ القصة في أوربا لا يمكن أن تهمل الجذور العربيّة التي تأثرت بها حين ظهرت قصص ذات طابع شعبي متأثرة بالقصص الشعبيّة في الأدب العربيّ، وأحدثت ضجة في فنون الأدب لدى غرب أوربا التي اقتصرت على القصص الخرافي، والملاحم الأسطورية، وذلك بعد أن غزت الحضارة الأندلسيّة وخطفت أنظار أمراء الجنوب الفرنسيّ، وخلبت ألبابهم، وأشعرتهم بتأخرهم، فكان تأثرهم بفن القصة صورة لاحتذائهم العرب في كل حركة وسكنة، وكان من أهم الأعمال التي تأثروا بها كتاب كليلة، وألف ليلة وليلة، والسندباد البحر[36] .

تأثر الأدب الأندلسي بالقصص العربيّ، وهذا واضح في الشكل والمضمون، فقد تطورت القصة التعليمية، ونقلت هذه القصص إلى القشتالية وأثرت في أعمال دون خوان مانويل، وتضمن هذه القصص نصائح أخلاقية بأسلوب قريب من قصص كليلة

ودمنة، وقصة علاء الدين والمصباح السحري، وعلي بابا والأربعون لصاً، وقصص الشاطر حسن وغيرها.

ويصرح **آنخل غونثالث بالنثيا(1889-1949م)** بأن أوّل ما عرفت أوربا من القصص المستقى من أصول عربيّة هو كتاب: **تعليم رجال الدين**، لمؤلف من أهل وشقة يهودي سفردي الأصل، وتشير الأدلة إلى أنه كتب كتابه باللّغة العربيّة، ثم ترجمه بنفسه إلى اللاتينية، يورد فيه ثلاثاً وثلاثين أقصوصة شرقيّة نقلها عن حُنين بن إسحاق(194-260هـ) ، وكليلة ودمنة والسندباد، ويقرّ **السفردي** فيه صراحة أنه صنفه عن أمثال فلاسفة العرب وحكمهم، وتأثر بهذا الكتاب أدباء إسبان أمثال: **دون خوان مانويل**(1282- 1349م) الذي يُعدُّ أفضل كاتب نثري باللّغة القشتالية في القرن الرابع عشر الميلادي، كان معاصراً **لبوكاشيو**(1313- 1375م)، كما كان على صلة بالمسلمين والعرب في إسبانيا، أما **ميغيل دي ثربانتس** الذي كان على احتكاك دائم بالثقافة العربيّة طوال حياته، إذ أحدثت تجربة أسره في الجزائر حوالي خمسة أعوام تحولاً جذرياً في حياته ورؤيته، وكتب كل أعماله بعد سنوات الأسر، إلا قصائد قليلة كتبها في وقت مبكر من حياته، ولا تجد أي عمل من أعماله خالياً من أثر الثقافة العربيّة الإسلاميّة، وكتب مسرحيات تدل على شخصيّة ذات خلفية ثقافيّة إسلاميّة، كشخصية سيدي حامد الراوي الرئيس للرواية، وأكثر من عشرين مثلاً شعبياً وحكمة، وأكثر من مائتين وعشرين كلمة من أصل عربي، إضافةً إلى تأثيرات تاريخيّة، ودينية، وأدبيّة منها ما يتعلق بتمثل **دون كيشوت**، لشروط الفروسية العربيّة أكثر مما تمثله لشروط الفروسية الغربيّة؛ لكونه يدافع عن الفقراء والمظلومين واليتامى، بينما تأسست الفروسيّة الغربية للدفاع عن الملوك، وأصحاب السلطة والأغنياء[36] ، ويقرّ الباحثون بأن أغلب الأعمال القصصيّة الإسبانيّة في العصر الوسيط منذ القرن الثالث عشر للميلادي كانت من أصول عربيّة اقتبست إما عن الترجمة للكتب العربيّة، وإما عن طريق السماع من المسلمين والنصارى المسيحيين في إسبانيا.

ويرى **بيدرو مونتابيث** أن التأثير الإسلامي في ثربانتس مسلم به وثابت، ولكن من هم المسلمين الذين أثروا في الكاتب الإسباني؟ ويجيب نوعين من المسلمين الذين احتك بهم ثربانتس، النوع الأول: هم مسلمو الدولة العثمانيّة والبربر، والنوع الثاني: هم الموريسكيون، فالأول هو المقتدر القوي المناهض للمسيحيّة وعدوها وكان نداً لها، والآخر الموريسكيون هم المهادنون الذين لم يجرؤوا على التصريح بمعتقداتهم مواطنو الطبقة الثانيّة المهمشة والمحرومة في إسبانيا [37].

ويفصح **منندیث بلايو**(1856- 1912م) : بأن ((أوّل أديب صاحب أسلوب نثري من كُتّابنا في العصور الوسطى قد نهل وروى من موارد عربيّة... وأثبت **أسين بلاثيوس** أن الكتاب المسمى مجادلة الحمار للأب انسيلمود دي تورميدا)) [38] هو ترجمة حرفيّة في أحيان كثيرة لفقرات من مجادلة الحيوانات لبني آدم الواردة في رسائل إخوان الصفاء، وكان لكليلة ودمنة أثر في الأدب الإسباني؛ بل أدب أوربا كلها، فقد ترجم إلى أكثر من أربعين لغة، كما يستدل ببعضها في كتاب العجائب **لرايموندو لولو**، وكتاب الكونت لوكانور **لخوان مانويل** [39] .

ويشير **بيلايو** إلى أن التأثير الذي أحدثته قصص ألف ليلة وليلة في الأدب الإسباني على الرغم من أنها ليست إبداعاً عربيّاً خالصاً لم تخل سحر العرب الممزوج بأحداثها والموجود في طياتها الذي جعلها تتميّز بالعروبة، وتطوّر الأقصوصة، وكذلك كتاب الكونت لوكانور، **المثال الخمسون**[40] ، فورد فيه تسع حكايات ذات أصل عربيّ، وبعضها الآخر أخذ عن كتاب كليلة ودمنة، وينعكس التأثير عربياً في هذه الحكايات مع شيء من المودة والحب للمعرفة العربيّة، وفي كثير من الإشارات إلى الأمثال، والنماذج العربيّة، والأثر شرقياً وعربياً في استخدامه للأسلوب الذاتي كما تظهر في الأدب العربي، إن الذاتية مازالت معروفة في الأدب الإسباني في الوقت الذي كانت فيه الآداب الأوربيّة تميل إلى الأجناس الملحميّة في الصياغة، والملامح الذاتية سمة من سمات الأدب العربيّ في أدبهم الوصفي، وشعرهم الذي يتكلم عن الذات[41].

ويحوي كتاب **الكونت لوكانور** خمسين حكاية يوضح فيها المؤلف المواقف الأخلاقيّة والنصائح، فهو مدين للشرق في هذا الفن الذي يستخدم الحكايات والأمثال في إطار عام ويعلم السلوك والأخلاق عن طريق الحكايات والقصص، تجد التأثير العربي في هذه الحكايات واضحاً، شخصيات عربيّة وإسلاميّة، وأسماء مدن وأماكن كثيرة من أمثال: ابن عباد والرميكية، والمنصور، والسلطان، والحكم، وصلاح الدين، ومن أسماء المدن، قرطبة، وإشبيلية، وتونس، وطليطلة، أما المفردات اللّغوية فورد منها الكثير أمثال: الترمس، والديّة، والمسك، والسيّد، والجبّة، والجرّة ، كذلك قصة حي بن يقظان، لابن طفيل، درس **بيلايو** أوجه الشبه بين غراثيان، وابن طفيل في المقدمة التي كتبها لترجمة **بونس بويغس**(1861- 1899م)، ونشرت في (1910م)، غير أن **إميليو غارثيا غوميث** يرى أن كلا من غراثيان مؤلف رواية الكريتيكون، وابن طفيل تأثر بقصة موريسكية مؤلفها مجهول كانت مصدر مشتركاً لقصة الصنم والملك وابنته، وهي إحدى الأساطير التي نسجت حول شخصيّة الإسكندر الأكبر[42].

وكان لحكايات ألف ليلة وليلة أثر في الأدباء الإسبان لتطور الأقصوصة في القرون الوسطى والعصر الحالي[43] ، لقد وصفتها دائرة المعارف الإسلامية بأنها أشهر مجموعة عربية حظيت باهتمام الأدباء والشعراء والروائيين والسينمائيين في العالم كافة، يقول **بيلايو**: ((إن حكاية الفتاة تيودور للوبي دي بيخا مأخوذة من ألف ليلة وليلة، ففي القرن الثالث عشر الميلادي ترجمت إلى الإسبانيّة، كما ترجمت بعض القصص في الأندلس ومنها حكاية الجارية تودد)) [44]، التي أثرت في لوبي دي بيخا، وكتاب الحيوانات للوليو ما هو إلا صورة لحكاية المرأة الفضولية والديك التي جاءت في ألف ليلة وليلة، وأخذ تأثير ألف ليلة وليلة يمتد إلى ما هو أبعدُ بكثير من أعمال دون خوان مانويل وبوكاتشيو، فقصة الحصان الأنبوسي ذات أصل هنديّ وحكايات قصر الحمراء، وقصة مائدة سليمان[45]، كما تجد التّأثير عربياً في ملحمة السيّد أولى روائع التّراث الأدبي الإسباني في العصر الوسيط، وأولى الملاحم الشعرية الأوربيّة، تجد تأثير العرب فيها واضحاً في عدة جوانب في الملحمة، منها التّأثير اللّغوي العربي الذي ظهر في عدد من الكلمات العربية التي تذكر بلفظها، وترسم بحروف لاتينية دقيقة ومحرفة أحياناً وأكثرها تداولاً أداة النداء، مثلاً: يا سيَّد، يا سيّدي، وليس للنداء في اللغة الإسبانية أداة معينة، فإذا اضطرت إليه استخدمت الصوت (Oh) ولم تذهب (يا) من اللّغة الإسبانيّة المعاصرة، وإنما انفصلت عن معنى النداء، وأصبحت تعبيراً عن التنبيه بصفة عامة، وتجد حرف الجر(حتى) في الملحمة، مراداً بها انتهاء الغاية كما هي في العربيّة تماماً، يقول الشاعر: (إن الغارات وصلت حتى القلعة)، كما تجد ألفاظاً أخرى في طليعة جيش السيّد تقوم بالغارة، مثل: القائد، والقاضي، والمصلي، ومن بين ما يلبسه السيّد الكوفية، وما هو من خصائص اللّغة العربيّة يكاد يكون ترجمة حرفية لها مثلاً: بكت عيناه، بكى قلبه، وهذا التعبير لا يعرفه أي أدب أوربي آخر غير الأدب الإسباني، والشعر البروفنسالي كما أشار الدكتور **الطاهر مكي** [46].

ويظهر في ملحمة السيّد التّأثير عربياً في النظم والتقاليد، فالسيّد في الملحمة يقسم الغنائم طبقاً للشريعة الإسلاميّة، فله الخمس لكونه رئيساً لتابعيه، ومستقلاً عن آية دولة أخرى، والباقي يقسم على المقاتلين، للرجل سهم، وللفارس سهمان، ويجري القتال على الطريقة العربيّة في الحرب ينادي المسلمون النبي محمداً يستلهمونه النصرة، بينما يصيح المسيحيون باسم القديس يعقوب شنت ياقب، وكانت الديّة تقبل في حالات القتل الخطإ عوضاً عن القصاص، وتنهض بها الأسرة كلها وهو نظام إسلامي، وليس له مثيل في شريعة المسيحيين، أما في حالات القتل العمد فلا بد من القصاص[47].

واتجه **خوليان ريبيرا** إلى دراسة الملاحم الشعبية، وحكايات الفروسيّة وقصص المغازي والفتوح، والأساطير الأندلسيّة وتأثيرها في الآداب الأوربيّة، ودلل على ذلك في بحث نشره في عام (1915م)، فلاحظ آثاراً من شعر قصصي عند أوائل مؤرخيّ الأندلس من المسلمين وظن أنه كان مزدهراً في الأندلس في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، ومضى يبحث في كتب التاريخ الأندلسيّ عن بقايا أسطوريّة ذات أصول محليّة، إذ غلب عليه الظن أن هذه العناصر الأسطوريّة اندرجت في كتب التاريخ الإسلاميّ الأندلسيّ، كما حدث لأشعار الملاحم القشتاليّة من انتشار نظمها واندراجها في المدونات النصرانيّة في زمن متأخر، علاوة على ما تحدثنا به المراجع من أن نفرا من الأندلسيين وصف أحداث فتح الأندلس، وما تلاه من حروب في قصائد طوال مثل: يحيى الغزال (722- 866م) الذي اشتهر بالغارات التي قام بها لعبدالرحمن الأوسط ، وبأرجوزته التي كتبها عن فتح الأندلس، والوقائع التي دارت بين العرب والنصارى، وتمام بن علقمة (800- 896م) الذي تزوج ابنة رومانوس القومس على أيام القوط ، ونكاد نقطع بأن هذه الأساطير كانت جارية على ألسن الناس بالعجمية الدارجة، ومن أمثلة الأساطير ذات الطابع القوميّ موضوع **كرم أرطباس** ، وهو أحد أشراف القوط وسليل الملوك الذي لجأ إليه نفر من العرب يطلبون منه ضياعاً، فحط من شأنهم ثم تراجع ووهب لهم من أراضيه شيئاً كثيراً [48]، يقول خوليان ريبيرا في هذا الصدد: ((وهذه الحكاية تحمل كل الملامح التي تدل على أنها قد بنيت على أساس من أقصوصة شعبية منظومة)) [49].

واستخلص من تحليله لبعض النماذج القصصيّة أنه كان لأهل الأندلس شعر قصصيّ شعبيّ، ومن الممكن أن يكون هذا الشعر القصصيّ عاش بين ظهراني أهل الأندلس جماعة يعمر قلوب أفرادها الحب للغة هذا الشعر وموضوعاته، وأن تكون هذه الجماعة وجدت بين الجالية الأوربيّة التي كانت تعيش بين ظهراني أهل الأندلس، أو جماعة الصقالبة الذين كان لهم أثر في فترة معينة من العصور الإسلاميّة في التاريخ الأندلسي، ومضى يبحث في إمكان أن يكون لهذا الأدب بعد أن أثبت وجوده أثر في الشعر القصصيّ الإسبانيّ والفرنسي الذي ظهر بعد ذلك [50] .

ويفصح خوليان ريبيرا عن الشعر القصصيّ الأندلسيّ البدائي لا يبدو مجرد محاكاة لأدب أجنبي جامدة؛ بل هو يروى أخباراً كانت ذكرياتها غضة مائلة في الأذهان، فالمدة بين وقوع الحادث الذي تدور الأسطورة حوله وبين اندراجها في مدونة تاريخيّة لا تكاد

تعدو قرناً من الزمان تنشأ خلاله الأسطورة التي تندرج في أثناء المدونة وتلك الأساطير الأندلسيّة تتفق في هذا والأساطير الإسبانية [51].

ويرى الدكتور **الطاهر مكي** أن علماء النقد يذهبون إلى أن الجانب النصرانيّ من الأندلس لم يعرف شعر الملاحم قبل القرن الثالث عشر، وأن هذا اللون من الشعر والشعراء كان موجوداً قبل تأليف رودريغو مطران طليطلة لكتابه في التاريخ الذي أنهاه في (1234م) والذي يرد فيه أوّل ذكر لشاعر جوال ينشد شعراً قصصياً، فكان هذا اللون الشعري بمنطقة بروفنس جنوبي فرنسا بزمن طويل وبمنطقة جيليقية شمالي غرب إسبانيا، غير أنه لم يحفظ اسم أحد من هؤلاء الشعراء الملحميين، ولم تصل من ملاحمهم إلا ملحمة السيّد [52]، وينفي **منندیث بیدال** وجود تأثيرات الإسلام في أشعار الملاحم القشتالية، وذلك قبل ظهور بحوث **خوليان ريبيرا**، قال: ((إنه لمن العبث أن نلتمس في أشعار الملاحم الإسبانيّة الأولى مؤثرات عربيّة)) [53] ، فرد عليه **خوليان ريبيرا** بأن الملاحم تحوي كثيراً من الألفاظ والمصطلحات ذات الأصل العربيّ أمثال: الغارة، والدليل، والقاضي، والطلائع، وهو ما يبين أثر الإسلام واضحاً في هذه الملاحم، ومن بين الإشارات الدالة على ذلك اختصاص الملك بخُمس الغنائم، وهذه قاعدة شرعيّة إسلاميّة، إضافة إلى تحجب كثير من النساء فيها، ولم يقتنع **بيدال** بهذا الرد وأصر على موقفه، وجاء في رده على **خوليان ريبيرا** ((لا بد من وصول إلى الأشعار القصصية الأندلسيّة الموريسكية والأشعار القصصيّة التي ظهرت في نواحي الحدود الشماليّة حتى نعثر على تأثيرات الإسلام هذه التي أشار إليها خوليان ريبيرا في الشعر القصصي القشتالي)) [54] .

كما دخلت حكايات شعبيّة إلى الأدب الإسباني عن طريقه دخلت إلى الآداب الأوربيّة الأخرى، مثل حكاية الدر التي لا يأكل ولا يشرب فيها أبداً، للازاريّو، والمقامة البغداديّة، وهي المقامة الثانية عشرة للهمذاني، فأكثر الأعمال مدعاة للاهتمام، مثل نصّ الشريشي الذي يتعلق بتنظيم الصعاليك في رابطات [55].

إن التأثير الذي تتبادله الثقافتان في مجال الأدب يمكن تتبعه في قصص متشابهة، لكنه لا يزال فرضيات بحاجة إلى أدلة تاريخيّة، ومع ذلك يمكن أن تجد فيه مجالاً غنياً للبحث والتنقيب، فجمع الدكتور **عبد اللطيف عبد الحليم**

في كتابه تأثيرات عربيّة في حكايات إسبانيّة، **للفرناندو دي لاغرانجا**، دراسات في الأدب المقارن، صدر في(2008م)، مقالات نشرت متفرقة في اللّغة الإسبانيّة، وترجمها إلى العربيّة، ويضم هذا الكتاب ثلاث حكايات إسبانيّة من أصل عربي، وحكايتان عربيتان من حكايات اللصوص في الأدب الإسباني في القرن السادس عشر وهي **عقوبة المتغزل**، حكاية إسبانية من أصل عربي، وحكايات عربيّة في حديث **المادة ليتمونيدا**، وحكايات عربيّة في الأيكة الإسبانيّة، وهي **كلب أولياس** وكلاب أخرى، وصدى عمرو بن معد يكرب في الأدب الإسباني، وحكاية **ملء العين** الإسبانيّة من أصل عربي، وإنّ تأثير العرب في هذه الدراسات واضح، ودليل على ذلك دور الموريسكيين في نقل الحكايات الشعبيّة وهي الغذاء الثقافي اليوم للعرب والإسبان(56) ، ومن أشهر الحكايات التي وردت في هذا الكتاب، وكان لها أثر عربي :

ـحكاية العيد والفقيه الفقير وحبات الترمس، وهي من الحكايات الذائعة في الأدب الإسباني، ذكرت في كتاب الكونت لوكانور، كما في المشهد العاشر من مسرحية دون بيدور كالديرون دي لاباركا، الحياة حلم من القرن السابع عشر لاتزال مشهورة يحفظها أغلب الإسبان، ويختم مانويل هذه الحكاية بالمثل الذي يقول فيه: **لا تقنطنّ أبداً من الفقر؛ فهناك أسوا منك في العُسرِ.**

ويعتقد فرناندو دي لاغرانخا أن أصل القصة هي قصة القنازعي، فهي تختلف ببعض التفاصيل، ولكنها تشبهها في المغزى بـ حبات الترمس، كما قد تكون القصة وجدت طريقها إلى ابن سعيد متأثراً بالنسخة الإسبانية عندما نقل قصة القنازعي.

ـحكايات التينات الثلاث، وهي الحكايات التي لها تأثير في الأدب الإسباني، يرى فرناندو أن القصة مشابهة لحكاية في كتاب حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات.

ـ **حكاية الجامع**، يحدد فرناندو الحكايات العربيّة في كتاب ملتشور دي سانتا كروث الأيكة الإسبانيّة، ويتتبع أصولها العربيّة من أقوال مأثورة وحكايات معروفة، وهذه الحكاية يقابلها في الأدب العربيّ ما يشبهها في صغرها وفي مقصدها في كتاب أخبار الأذكياء، لأبي الفرج الجوزي(510هـ- 1116م) .(57)

ونستشف من هذا العرض الموجز لهذه النماذج مدى عمق تأثير ما خلفته الثقافة العربيّة في نشأة الفن القصصي في الأدب الإسباني، وأقر هذه الحقيقة كثير من الباحثين الإسبان، بل أن هذه الكتب العربيّة كان لها أصداء واسعة في الكتابات الأوربيّة الأخرى، فهذه القصص منها ما يهدف إلى الإمتاع، ومنها ما يقصد به التعليم، وتوزعت بين طرائف ومواقف، وتاريخ، وخرافات، وحكمة وغيرها مما يمتزج فيه الواقع والخيال القصصي.

المحور الثالث ـ أثر الأمثال العربية في الأمثال الأندلسية:

تُعدُّ الأمثال جزءاً من مخزون الشعوب الثقافي، وكنزاً من كنوز الآداب العالمية، والمرآة العاكسة لحكمة الشعوب وأفكارها وتجاربها، ويصب المثل في جملة موجزة بليغة خلاصة التجربة الإنسانية ويعبر عنها على مر العصور إما بالإيحاء، وإما بالإشارة المباشرة، وعنى العرب بجمع الأمثال وتدوينها خوفاً عليها من الضياع، وحرصوا على عزل الأمثال الفصيحة السليمة من كل لحن عن الأمثال المولدة التي جاءت نتيجة احتكاك العرب بالأعاجم بعد الفتوحات الإسلامية، واستقرار الحياة السياسية في العصر الأموي[58]، والأمثال أقوى أجناس التأثير؛ نظراً لطابعها الشعبي وانتشارها الشفهي، فهناك أمثال مشتركة في البناء والتركيب البلاغي والإيقاع، وهو تأثير يعود إلى الأسلوب العربي في السجع.

فكانت مصادر الأمثال الأندلسية متعددة ومتنوعة، منها مصادر محلية، أي من البيئة، ومنها ما ورد من بيئات أخرى، ومن بعض الأصوات التي اشتركت في تكوين أمثال العوام من الأندلس، والأمثال العربية القديمة التي انتقلت مع الفاتحين، أو التي انتقلت من الأندلسيين إلى المشرق، وهناك بعض الأمثال الأندلسية يرجع أصلها إلى أخبار ونوادر ذكرت في بعض كتب الأدب ووصلت إلى أسماع العامة فتمثلوا بها، ومن مصادر الأمثال الأندلسية تجارب بعض الأشخاص والحوادث التي مروا بها، وتناقل العامة هذه القصص وتمثلوا بها [59].

الأمثال الأندلسية، ونقصد بها تلك التي وردت باللغة العربية واقتبسها أهل الأندلس عن العالم الإسلامي بشكل عام، والأمثال التي وردت باللهجة العربية الأندلسية بشكل خاص وتكتسب أهمية أمثال العامة في الأندلس، والدراسات

الأندلسية مازالت في حاجة إلى كل جديد مهما كان نوعه، أما أمثال العامة في الأندلس، فهو موضوع غني بالنذرة والطرافة وتفتقر إليه هذه الدراسات(60).

ويرى بعض اللغويين أن تشابه الأمثال في لغتين مختلفتين أو أكثر لا ينتج عن تأثر ثقافة أو لغة بأخرى، وإنما تعكس ثقافات متباعدة زماناً ومكاناً النمط الفكري نفسه، وتنتج أدباً متشابهاً وليد الثقافة الذاتية الخاصة بالمجتمع نفسه بعيداً عن أي تأثير لغوي أو ثقافي خارجي، بمعنى أن تشابه العقل الإنساني وبنياته ومسارات تكوينه للمادة الفكرية تبقى متشابهة وواحدة، وهو ما يدفع المرء بتجارب والمؤثرات المتماثلة إلى الاستجابة والتفاعل بإصدار أنماط فكرية وأقوال وتعابير متطابقة(61)، وعلى خلاف هذه النظرية، يرى **إميليو غاريثا غوميث** أن تجانس الأمثال في اللغات المختلفة ناجم عن تأثر الثقافات بعضها ببعض، وتأثرت الأندلس بالثقافات السابقة، وبثقافة العالم الإسلامي خاصة، كما أسهمت هجرات الأندلس إلى الأقطار كافة بحثاً عن تلقن العلوم الدينية واللغوية على يد العلماء في النقل شفهياً، وكتابياً للعديد من الأمثال العربية إلى الأندلس، وهكذا مرت الأمثال العربية إلى الأندلس، والأمثال الأندلسية إلى الإسبانية(62)، كما اعتمد **إميليو غارثيا غوميث** في نقل الأمثال على التقليد الكتابي لا التواصل الشفهي، والأمثال كأي نتاج آخر لها تاريخ، فهذا التاريخ يتجلى كتابياً أكثر منه شفهياً، فقد مرت الأمثال من شعوب إلى أخرى عبر الترجمة والكتابات التي عملت على تدوين أقوال العامة، وصدرت الأمثال عن كُتّاب مثلوا مجتمعاتهم وشربوا من ينبوع التراث الشعبي حد الارتواء، ومنحوا الأمثال والأفكار والتعابير الشائعة الاستعمال صيغة ثقافية، وإطاراً رسمياً، ويرجع أصل بعض الأمثال الأندلسية إلى أخبار ونوادر وأجوبة تروى في بعض كتب الأدب، فالأمثال لها فوائد تاريخية واجتماعية وأدبية، ولها قيمة لغوية لا تقل أهمية عن قيمتها التاريخية والاجتماعية والأدبية، كما نشأت مجموعة من الأمثال حول المدن والأماكن الأندلسية وأهلها على سبيل المثال: ضرب المثل بعامة قرطبة في كثرة الفضول وشدة الشغب، والقيام على الملوك والتشنيع، فقيل فيهم:

ـ مثل الَجمل إن خفّفت عنه صاح وإن أثقلته صاح.

وضرب المثل بإشبيلية في التمدن، فقيل: **لو طلب لبن الطير في إشبيلية وُجِدَ**

كما امتدحوا في الأمثال التين المالقي، وضرب به المثل بتُطيلة؛ بسبب اشتهارها بالحرث الطيب، وقلعة لورقة في المنعة، وشاطبة في الحسن، وجيّان، فقالوا: امدح البلدان واسكن جيّان، أي من أحبه الله كثيراً أعطاه داراً في جيّان...وهناك العديد من الأمثال الأندلسية التي مازالت تستخدم في إسبانيا.

اهتم **إميليو غارثيا غوميث** بدراسة الأمثال الأندلسية على أنها مادة تاريخية، وأساس ومكون أدبي جوهري وعنصر لغوي يجب الاهتمام به؛ لتحقيق فهم الكيان الأندلسي الصحيح لغةً وفكراً ومجتمعاً، ففي عام(1970م) كتب **غارثيا غوميث** مقالاً بعنوان: نحو عملية تحصيل للأمثال العربية الأندلسية مترجمة، فهو مجهود بحثي على مستوى الدراسات اللغوية المقارنة التي أنجزت بالإسبانية في هذا المجال(63)، كما أسهم تحقيق **غارثيا غوميث** للأمثال العربية الأندلسية في إعادة الاعتبار للإرث اللغوي الشعبي بعد تعرضه للإهمال، ولم يهتم **غارثيا غوميث** بدراسة الموروث اللغوي فقط؛ بل حاول إبراز مدى تأثر الثقافة الأندلسية في باقي الثقافات التي كانت على اتصال بها، وبيّن كيف شكّلت الأمثال الأندلسية أصلاً ونواةً لنشأة عدد جيد من الأمثال الإسبانية المطابقة في المعنى والتركيب، وهي أمثال مازالت متداولة في إسبانيا(64).

وقدم **إميليو غارثيا غوميث** دراسات ألهمت عدة لغويين إسباناً وعرباً مواصلة البحث والتنقيب في هذا الحقل المعرفي، إذ انطلق في بحوثه من عدة مؤلفات أندلسية، تشير إلى التأثير والتأثر بين الثقافتين العربية والإسبانية، كما بيّن التقاطع بين الأمثال العربية في حدائق الأزاهر(65)، وبين الأمثال الإسبانية لدى الماركيز دي سانتيانا، ومن المؤلفات التي انطلق منها:

ـ كتاب الجوهرة في الأمثال، الذي شكل جزءاً لا يتجزأ من العقد الفريد وشمل الأخبار والأمثال، والحِكم، والمواعظ، والأشعار، واشتمل على عدد مما جرى على ألسنة الناس من الأمثال المستعملة (66).

ـ لحن العامة، لابن هشام اللخمي الإشبيلي(ت577هـ)، وهو من علماء الأندلس وأدبائها في المرية، كما أن هناك سلسلة من المؤلفات الأندلسية في لحن العامة، لأبي بكر الزبيدي(ت379هـ)، وتبعه ابن هانيء السبتي الإشبيلي(ت 733هـ)، وابن جزي الغرناطي(ت741هـ)، وابن

خاتمة(ت770هـ)، وكثيراً من المعاجم التي ألفت في إسبانيا خلال القرون الوسطى وحوت كثيراً من مفردات العامية الأندلسية [67].

ـ حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال، والحكايات والنوادر، لابن عاصم الغرناطي، هذا الكتاب يحوي على ثمانمائة وسبعة وعشرين مثلاً وحكمة مستوفية حروف المعجم العربي جميعاً، وأقل الحروف عدداً هو حرف الثاء، إذ اشتمل على أربعة أمثال، أما أكثر الحروف عدداً منها، فهو حرف الألف إذ بلغ مائتين واثنين [68].

واعتمد **غارثيا غوميث** في دراسته للأمثال العربية الأندلسية على منهج تفسير المثل الأندلسي في إطار الأدب العربي بشكل عام والأندلسي بشكل خاص، وإضافة تعليق مقارن بين الأمثال في اللغتين وترجمة المثل إلى الإسبانية، أو تقديم بديله الإسباني المعاصر، أو بديله الإسباني التاريخي القديم، وصياغة مقدمة للتعريف بالكاتب وأعماله، ووصف المخطوطة الأصلية ومختلف نسخها، والتعريف بأي جدلية مرتبطة بالمؤلف، نسج النص العربي بحروف لاتينية، وترجمة النص من العربية إلى الإسبانية، ونشر المقال في مجلة أوراق التي يصدرها معهد الثقافة الإسباني العربي في مدريد، العدد(4)، عام(1981م)، وهذه بعض الأمثال التي اهتم بها **غاثيا غوميث** على سبيل المثال:

ـ ربما تَحيّرَ من تخيّرَ، وهو من الأمثال التي خصها **غارثيا غوميث** بدراسة لغوية دقيقة، ورد هذا المثل في زجل ابن قزمان، وعند ابن عاصم، وأصل المثل عربي قديم، جاء بصيغ مختلفة من بينها **خَيّرني وحَيّرني**، ويرى **غوميث** أن هذا المثل دُوِنَ كتابياً أول مرة في القرن السادس عشر[69].

ـ **السعيدُ منْ اتعظ بغيرِه**، أي: ذو الجد من اعتبر بما لحق غيره من المكروه، فيتجنب الوقوف في مثله، قيل: إنَّ أول منْ قال هذا المثل مرثد بن سعد وَفد عاد الذين بُعثوا إلى مكة يستسْقون لهم، فلمَّا رأى ما في السَّحابة التي رُفعت لهم في البحر من العَذاب أسْلم مرثد، وكتم أصحابه إسلامه، ثم أقبل عليهم فقال: ما لكم حَيَارى كأنكم سكارى، **إن السعيد منْ وعظ بغيره**، ومن لم يعتبر الذي بنفسه يلقى نكال غيره، فذهبت من قوله أمثالاً، هذا المثل ورد في كتاب الجوهرة في الأمثال، وهو مثالاً متكاملاً لتحصيل الأمثال العربية في الوقت الذي لم تبلغ فيه اللغة الإسبانية حسب تعبير **غوميث** بُعداً من الأفق[70].

ـ **على قدر كسائك مد رجليك**، وهذا المثل في كتاب لحن العامة، وظهر في رواية دون كيشوت، ويروى: **على قدر لحافك مد رجليك** [71].

ـ **لاَ دِيدي لاَ حَبّ الملوك**، الدادِي عند الأندلسيين بإمالتهم يلفظونه الديدي، فهو زهر من فصيلة الخروب لونه شبيه بحب الملوك، أما في العربية، فهي شجرة الأرجوان، وحب الملوك: اسم ثمرة الكرز، وهو من الفواكه، ورد هذا المثل في كتاب الحدائق الأزاهر، يقال في شخص كان يرغب في اكتساب شيء رفيع ففقده ولم ينله، ولا أقلّ منه، أو كان يطمح إلى نيل شيء فقده ولم ينله ولا أقل منه، هذا المثل من الأمثال الأندلسية التي مازالت باقية في ألسنة أهل المغرب، وكانت الأمثال من أكثر الوثائق في معرفة طبيعة العامية الأندلسية وخصوصاً من حيث البناء والتركيب[72].

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة:

ـ إن الأندلس بأنوارها وأدوارها وأضواءها وظلالها جزء لا يتجزأ من ذاكرة تاريخ العالم الإسلامي، فهذه التأثيرات اختصتها دراسات الباحثين بالعنايّة والدرس، ولا سيّما بعد أن اهتم العرب بدراسة تراثهم وتعرف أبعاد تأثيره في الآداب العالميّة، إضافةً إلى دراسات الغربيين أنفسهم التي نظرت إلى القضيّة على أنها جزء من تاريخها الأدبيّ، فكان الموقف بعيداً عن التعصب والانحياز قريباً من الموضوعيّة، وهو ما حدا الكثيرين إلى عدم إنكار هذه الظواهر، وتتبع هذه التأثيرات خطوة بخطوة.

ـ إن إسبانيا هي البلد الأوربي الذي ترك إرثاً إسلامياً، خاصةً في صيغته العربية أو المستعربة تأثيراً أكبر عن غيره من البلدان الأوربية الأخرى، فالثقافة العربية عميقة الجذور في المشهد الثقافي الإسباني، وهناك آلاف من المفردات العربية المستخدمة في اللغة الإسبانية المحكية، علاوة على مفردات عربية رصينة تستخدم في البحوث الأكاديمية، وهذا ما يؤكده الباحثون والمؤرخون عرباً وإسباناً، ومن الإسبان الروائيان خوان غوتيسولو، وأنطونيو غالا، وقبلهما إميليو غارثيا غوميث شيخ المستعربين الإسبان في القرن العشرين، فيستحيل فهم واستيعاب تاريخ إسبانيا وثقافتها ولغتها فهماً واستيعاباً حقيقياً من غير معرفة اللغة العربية.

ـ أسهمت اللغة العربية في مسيرة الحضارة البشرية، فكانت لغة العلم والثقافة وطوعت الثقافات القديمة لها، ثم أبدعت وابتكرت، وقدمت خلاصة تجاربها إلى أوربا في مختلف ميادين المعرفة.

ـ إن اللغة العربية ليست غريبة عن الإسبان، فقد أمدت اللغة الإسبانية بكثير من الألفاظ وبعض الأصول خصوصاً في نشأتها الأولى، ووجدت الإسبانية في اللغة العربية

جزالة اللفظ، ودقة المعنى، وجمال التعبير، وتنوع الأساليب، وطراوة اللسان، وحلاوة الأدب.

ـــ إن الإسبان أخذوا عن العرب أساليبهم في التسميات ونقلوها إلى لغتهم، والتأثير العربي في المفردات الإسبانية في الدرجة الأولى من الأهمية بعد الأثر اللاتيني الروماني، إذ تُشكل العربية في الإسبانية الثانية بعد اللاتينية.

ـــ إن الإسبان المستعربين أتقنوا العربية إتقاناً سليماً، والعربية بطبيعتها لغة مؤثرة في الأسماع، فتأثرت بها الأذان، والأذواق، والأصوات.

الهوامـــــــــــــش:

1- أثار الأدب العربي القديم في الأداب الأوروبية وطرق انتقاله إليها، ثيليا دلمورال مولينا، تر: عبد الله الزيات، مجلة التواصل، تصدر عن جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس، العدد (19)، 2010م، ص47.
2- المرجع نفسه، ص126.
3- التأثير العربي في الثقافة الإسبانيّة، حكمت الأوسي، دار الحرية للطباعة، سلسلة الموسُوعة الصغيرة (152)، بغداد، 1984م، ص15.
4- رؤي إسبانية في الثقافة العربية، مجموعة من المؤلفين، تر: صالح علماني، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط (1)، 1990م، ص41.
5- تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل غونثالث بالنثيا، تر: حسين مؤنس، تقديم: سليمان العطار، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، المركز القومي للترجمة، 2011م، ص674.
6- ياقوتة الأندلس، دراسات في التراث، حسن الوراكلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص53.
7- أصول عربية محتملة لقصص وحكايات إسبانية، عبد الله الزيات، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع (17)، ص356.
8- تأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية وأثرها على الحركة الفكرية في الأندلس، حكمت عبد الحميد علاوى، مجلة الاستشراق، دار الشؤون الثقافية العامة، كلية اللغات، جامعة بغداد، العدد (4)، 1996م، ص92.
9- المرجع نفسه، ص91.
10- الحضارة العربية في إسبانيا، ليفي بروفنسال، تر: الطاهر مكي، دار المعارف، القاهرة، ط (3)، 1994م، ص16.
11- الأندلس الدلالة والرمزية، بيدرو مارتنيات مونتابيث، تر: رانيا سعد هاشم، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ط (1)، 2018م، ص33.
12- اللغة العربية أعمق من الإسبانية والحاملة لها، بيدرو مارتنيات مونتابيث، مجلة دراسات استشراقية، ع (11)، 2018م، ص33.
13- فجر الأندلس، حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، (1)، 1959م، ص29.
14- معجم المستشرقين، يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ص185.

15- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط (2)، 1998م، ج1/ ص639.
16- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط (3)، 1993م، ص14.
17- تأثيرات عربية في حكايات إسبانية، دراسات في الأدب المقارن، تر: عبد اللطيف عبد الحليم، الدار المصرية للبنانية، ط (1)، 2008م، ص20.
18- التأثير العربي في الثقافة الإسبانية، حكمت الأوسي، 1984م، ص 23.
19- أوروبا الإسلامية سحر حضارة ألفية، بيدرو مارتينيث مونتابيث، وكارمن رويث برافو، تر: نادية ظافر شعبان، مؤسسة الفكر العربي، بيروت، ط (1)، 2015م، ص40.
20- مدخل إلى الدراسات الأدبية لرافائيل لابيسا، الجامعة الإسلامية مجمع البحوث الإسلامية، ع (3)، 2009م، مج 39/ ص109.
21- دراسات أندلسية، عبد الواحد ذنون طه، دار المدار الإسلامي، ط (1)، 1986م، ص156.
22- التراث العربي الإسلامي، الكلمات العربيّة في اللّغة الإسبانيّة، جمال عبد الكريم، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، لا.ت، ص57.
23- تأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية وأثرها على الحركة الفكرية في الأندلس، حكمت علاوي، ص92.
24- التراث العربي الإسلامي، جمال عبد الكريم، ص35.
25- ربع مفردات اللغة الإسبانية هي من أصول عربية، الكزبري، 2003م، ص90.
26- معجم الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، تح: إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، بيروت، ط (2)، 1984م، ص393.
27- كلمات إسبانية وأوروبية ذات أصول عربية محتملة، حكمت الأوسي، 2000م، ص156.
28- الحضارة العربية في إسبانيا، ليفي بروفنسال، تر: الطاهر مكي، 1994م، ص113.
29- التراث العربي الإسلامي، جمال عبد الكريم، ص41.
30- الحضارة العربية في إسبانيا، ليفي بروفنسال، تر: الطاهر مكي، ص117.
31- الإسلام في إسبانيا، لطفي عبد البديع، 1969م، ص249.
32- تأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية، خالد الصوفي، مجلة المعرفة، دمشق، العدد (7)، 1962م.
33- شاعر أندلسي وجائزة عالمية، عباس العقاد، دار الكتاب العربي، 19971م، ص103.
34- فصول في الأدب الأندلسي في القرنيين الثاني والثالث الهجريين، حكمت الأوسي، مطبعة الأعظمي بغداد، المجلس الأعلى للثقافة، 1971م، ص145.
35- آثار الأدب العربي القديم في الآداب الأوروبية وطرق انتقاله إليها، مولينا، تر: عبد الله الزيات، ص103.
36- تاريخ الفكر الأندلسي، بالنثيا، تر: حسين مؤنس، ص648.
37- الاستجواب الذي أجرته معه صحيفة (الميثاق الوطني) المغربية، العدد (23)، 1986م، ص4.
38- الأدب المقارن بين التراث والمعاصرة، صابر عبد الدائم، منشورات اتحاد الكُتّاب، القاهرة، ط (2)، 2003م، ص82.
39- تاريخ الفكر الأندلسي، بالنثيا، تر، حسين مؤنس، ص655.
40- تولستوى يقرأ كليلة ودمنة، محسن نصر الكناني، مجلة الاستشراق، 1994م، ص194.

41- فضل الأندلس على ثقافة الغرب، خوان برنيث، تر: نهاد رضا، قدمه: فاضل السباعي، دار إشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط (1)، 1997م، ج2/ ص 447.
42- تأثير اللغة العربية في اللغة الإسبانية، حكمت علاوي، 1987م، ص145.
43- تاريخ الفكر الأندلسي، بالنثيا، تر: حسين مؤنس، ص602.
44- فضل الأندلس على ثقافة الغرب، خوان برنيث، تر: نهاد رضا، ج2/ ص450.
45- تاريخ الفكر الأندلسي، بالنثيا، تر: حسين مؤنس، ص595.
46- فضل الأندلس على ثقافة الغرب، برنيث، تر: نهاد رضا، ج2/ ص452.
47- ملحمة السيد، الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط (4)، 1995م، ص187.
48- المرجع نفسه، ص189.
49- الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، 1944م، ج1/ 103.
50- تاريخ الفكر الأندلسي، بالنثيا، تر: حسين مؤنس، ص675.
51- المرجع نفسه، ص674.
52- المرجع نفسه، ص674.
53- ملحمة السيّد، الطاهر أحمد مكي، ص56.
54- تاريخ الفكر الأندلسي، بالنثيا، حسين مؤنس، ص683.
55- المرجع نفسه، ص683.
56- فضل الأندلس على ثقافة الغرب، خوان برنيث، تر: نهاد رضا، ج2/ ص474.
57- تأثيرات عربية في حكايات إسبانية، عبد اللطيف عبد الحليم، ص17.
58- معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، ص20.
59- أمثال العوام في الأندلس، لأبي يحيي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي، تح: محمد بن شريفة، منشورات الدولة المكلفة الشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس، 1975م، ق1/ ص183.
60- أبحاث في الأدب الأندلسي، مقداد رحيم، دار ومكتبة الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، مصراته، ط (1)، 1994م، ص183.
61- أمثال العوام في الأندلس، ق1/ ص104.
62- أمثال أندلسية مازالت حية في اللغة الإسبانية، سميرة فخر الدين، 2017م.
63- أمثال العوام في الأندلس، ق1/ ص150.
64- المرجع نفسه، ق1/ ص151.
65- أبحاث في الأدب الأندلسي، مقداد رحيم، ص185.
66- حدائق الأزاهر، لابن عاصم الغرناطي، تح: أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، ص138.
67- العقد الفريد، كتاب الجوهرة في الأمثال، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (3)، 1987م، ص15.
68- لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط (1)، 2000م.
69- حدائق الأزاهر، تح: عبد اللطيف عبد الحليم، ص17.
70- تأثيرات عربية في روايات إسبانية، عبد اللطيف عبد الحليم، ق2/ ص203.
71- العقد الفريد، كتاب الجوهرة في الأمثال، ص15.
72- أمثال العوام في الأندلس، ق1 / ص273.
73- المرجع نفسه، ق1/ ص2 .